قوله أول ما خلق الله العقل بالنص لكن هذا اللفظ لا يمكن هؤلاء الملحدون
تغيير إعرابه بخلاف ذلك اللفظ فإنه لا حيلة لهم في إعرابه ثم إن من العجيب
أن هذا الحديث قد جعله عمدتهم في أصول الدين والمعرفة والتحقيق من يروم
الجمع بين الشريعة الإلهية والفلسفة اليونانية المشائية وكل هؤلاء غيروه
وإن كان موضوعا فرووه أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل وجعلوا هذه حجة
وموافقا لما يقوله الفلاسفة المشاءون أتباع أرسطو في قولهم أول الصادرات
عن واجب الوجود هو العقل الأول وقد شاع هذا في كلام كثير من المتأخرين
بعد أن رأوه في كتب رسائل إخوان الصفا فإن هذه الرسائل هي عمدة لهؤلاء
ووجد نحو هذا في كلام أبي حامد في مواضع وإن قيل إنه رجع عن ذلك ثم وقع بعده
في كلام من سلك هذه السبيل من الجهمية والمتفلسفة من القائلين بوحدة الوجود
وغيرهم وهذا باطل من وجوه كثيرة أحدها أن هذا الحديث بهذا اللفظ
وهذا الإعراب لم يروه أحد من رواة الحديث لا بإسناد صحيح ولا سقيم
بل الحديث المروي وإن كان بإسناد سقيم لفظه أول ما خلق الله العقل بنصب
أول والعقل وذلك لا حجة فيه على أن العقل أول المخلوقات إذ لفظه أول ما
خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل فهو نصب على الظرف إذ ما هي المصدرية
وهي والفعل بتأويل المصدر الذي يجعل ظرفا كما يقال أول ما لقيت فلانا
سلمت عليه أي في أول أوقات لقيه سلمت عليه وإذا كان معناه أنه قال
له في أول أوقات خلقه هذا القول لم يدل على أنه أول المخلوقات بل هو دليل
على أنه خلق قبله غيره إذ قال له في أول أوقات خلقه ما خلقت خلقا أكرم
علي منك وإن كان قد تحذلق من تحذلق من الجهميين القائلين بوحدة الوجود
وغيرهم ففسروا الإقبال والإدبار بما لا يدل عليه اللفظ فاختلفوا في ذلك
حتى أن صاحب البيد يفسر الإقبال والإدبار بما يرجع بحصوله إلى
أصله الفاسد من أن وجوده وجود الحق فمعلوم أن هذا ليس هو قول هؤلاء
الفلاسفة ولكن أرسطو حكى عن بعض قدماء الفلاسفة أنه كان يقول
الوجود واحد ورد ذلك عليه فقول هؤلاء يوافق هذا القول

الذي

الذي لم يرضه هؤلاء الفلاسفة وقد كان صاحب البيد يقول عن صاحب الفصوص
والفتوحات المكية إن كلامه فلسفة مخموجة أي عفنة فيكون كلامه
هو فلسفة منتنة وسواء كان قولهم أو لم يكن فمعلوم أن اللفظ المذكور لا يدل
على ما فسروه به بوجه من وجوه دلالات اللفظ ولكن هؤلاء سلكوا مسلك
القرامطة الباطنية وهم من المتفلسفة المنتسبين إلى الإسلام وكان ابن
سينا يقول كان أبي من أهل دعوتهم وكذلك قرأت كتب الفلاسفة ومعلوم
أن مقالات هؤلاء من أبعد المقالات عن الشرع والعقل فإنهم يسفسطون
في العقليات ويقرمطون في السمعيات يحرفون الكلم عن مواضعه أعظم
من التحريف الذي عيب به اليهود والنصارى إلا من تقرمط من الاميين
من متفلسفيهم فإنه شبيه بهم وقد علم بالاضطرار أن ما يفسرون به
كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بل وكلام غيرهما ليس داخلا
في مرادهم فضلا عن أن يكون هو المراد بل غالب تفاسيرهم منافية لما أراده
الله تعالى أما من ذلك اللفظ وأما من غيره وإن كان طوائف من المشهورين
بالفقه والتصوف يطلقون هذه العبارات الإسلامية بالتفاسير
الفلسفية القرمطية فقد صرحوا بأن ذلك مأخوذ عن هؤلاء كما ذكر
أبو حامد في كتاب معيار العلم لما تكلم عن الحدود قال ولكنا أوردنا حدودا
مفصلة لتستفيد الدربة بكيفية تحرير الحد وتأليفه فإن الامتحان
والممارسة للشيء تفيد قوة عليه لا محالة والثاني لأن يقع الاطلاع
على معاني أسماء أطلقها الفلاسفة وقد أوردناها في كتاب تهافت
الفلاسفة إذ لم يكن مناظرتهم إلا بلغتهم وعلى حكم اصطلاحهم وإذا لم يفهم
ما أوردناه في اصطلاحهم لا يمكن مناظرتهم فقد أوردنا حدود ألفاظ
أطلقوها في الإلهيات والطبيعيات وشيئا قليلا من الرياضيات فلنأخذ هذه
الحدود على أنها شرح الاسم فإن قام البرهان على أن ما شرحوه كما شرحوه
اعتقد حدا وإلا اعتقد شرحا للاسم وإنما قدمنا هذه المقدمة لتعلم أن ما
نورده من الحدود شرح لما أراده الفلاسفة بالألفاظ لا حكم بأن ما ذكروه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)